

المحاضرة رقم (7): دراسة الحالة

تعتبر دراسة الحالة من الأدوات الرئيسية التي تعين الأخصائي النفسي على تشخيص وفهم حالة الفرد وعلاقته بالبيئة. والمقصود بها جميع المعلومات المفصلة والشاملة التي تجمع عن الفرد المراد دراسته في الحاضر والماضي، وتعد دراسة الحالة تاريخ شامل لحياة الفرد المعني بالدراسة وتاريخ الحالة ما هي إلا جزء من دراسة الحالة، وتعتبر دراسة الحالة الطريق المباشر إلى جذور المشكلات الإنسانية. وهي الإطار الذي ينظم فيه الأخصائي الإكلينيكي كل المعلومات والنتائج التي يحصل عليها من الفرد، وذلك عن طريق: الملاحظة والمقابلة، والتاريخ الاجتماعي، والخبرة الشخصية والاختبارات السيكولوجية، والفحوص الطبية.

1 - تعريف دراسة الحالة:

دراسة الحالة طريقة إجرائية تحليلية لدراسة الظاهرة الاجتماعية من خلال التحليل المعمق للإحاطة بحالة معينة ودراستها دراسة شاملة، وقد تكون هذه الحالة فرداً أو مجتمعاً محلياً أو مجتمعاً كبيراً أو أية وحدة أخرى في الحياة الاجتماعية.

وتعني دراسة الحالة كذلك كل المعلومات التي نجمعها على الفرد من نتائج المقابلات والملاحظة والاختبارات (إن وجدت) والتي تساعدنا في رسم صورة واضحة عنه.

وهي أيضاً عبارة عن رسم صورة واضحة عن حالة الفرد والمشكلة التي يعاني منها وذلك من خلال المعلومات المتوفرة بناءً على نتائج المقابلات والاختبارات والملاحظة، وهي جميع المعلومات المفصلة والشاملة عن الفرد المراد دراسته حالته في الحاضر والماضي.

إذاً منهج دراسة الحالة يسعى إلى تناول الموقف الكلي، مع الاهتمام والتركيز على الجزئيات ومعالجتها، وتناول العلاقات التي تجمعها فيما بينها، وتجمعها بالموقف الكلي الذي تشكل جزءاً منه؛ وبناءً على ما سبق فإن منهج دراسة الحالة يستخدم في الحالات الآتية:

- إذا كان الباحث راغباً في تناول وحدة واحدة، ودراستها على نحو مفصل في بيئتها.
- إذا كان الباحث يسعى إلى فهم التفاعل بين العوامل المختلفة التي تؤثر في حالة معينة عبر الزمن.
- في الدراسات الاستكشافية التي تهدف إلى جمع معلومات أولية حول ظاهرة معينة تمهيداً لدراساتها بشكل أوسع.
- عندما تكون هناك رغبة في الحصول على وصف عميق وشامل للحالة المدروسة من كافة جوانبها.

2 - أهداف دراسة الحالة:

هناك العديد من الأهداف التي أشار لها الباحثون ويطمح الأخصائي إلى تحقيقها عند إجرائه لدراسة الحالة ومن أبرز تلك الأهداف ما يأتي:

- فهم أفضل للفرد وتحديد وتشخيص مشكلاته وطبيعتها وأسبابها واتخاذ التوصيات الإرشادية والتخطيط للخدمات العلاجية. وذلك من خلال جمع المعلومات والبيانات اللازمة عن الفرد، وتحليل هذه المعلومات والبيانات التي تحصل عليها من خلال دراسة الحالة.
- جمع المعلومات والبيانات التي نحصل عليها وتحليلها وتنظيمها وتلخيصها وتحديد الوزن النسبي لكل معلومة، وإعطاء أهمية للمعلومات التي لها وزن تربوي أكبر من غيرها.
- اتخاذ قرار ببعض الطرق العلاجية، والتي تؤدي في النهاية إلى مساعدة الفرد في التغلب على مشكلاته وحلها مما يؤدي في النهاية إلى تحقيق قدر من التوافق النفسي والصحة النفسية.
- تحقيق الصحة النفسية للفرد وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي له.
- إزالة ما يعترض سبيل الفرد من عقبات وصعوبات ومساعدته في التغلب عليها، أو التخفيف منها واستبعاد الأسباب التي لا يمكن إزالتها.
- تعديل سلوك الفرد إلى الأفضل.

3 - أهمية دراسة الحالة:

- يمكن إجمال أهمية دراسة الحالة بالنقاط التالية:
- تحتوي طريقة دراسة الحالة دلالات تشخيصية أولية تكشف الرؤى أمام الفريق التربوي وتسهل له طريقة عمله
- وتعتبر دراسة الحالة أداة تربوية وصورة بحثية عن حياة الفرد والتي تحتاج لفحص الحالة العقلية والنفسية وبذلك فهي تفيد في التعرف على طبيعة المشكلات النفسية والعقلية التي يعاني منها الفرد
- تمد الأخصائي بمعلومات وفيرة ومنظمة عن الفرد، تتميز بالبساطة والسهولة وغازة المعلومات
- كما أن دراسة الحالة تبقى مصدراً جيداً من مصادر التشخيص في حدود الاعتبارات التالية:
- أن نضع لدراسة الحالة ضوابط على ضوء فجواتها وذلك برفع مقدار الثبات والصدق لها في حدود الإمكان.
- أن نتأكد من صحة المصادر في البداية، ومن صحة التقييم لها عند كتابة التقرير النفسي في نهاية المطاف.
- ألا نثق بها وحدها كأداة دون ربطها ربطاً محكماً مع الأدوات الأخرى والذات نتائج الاختبارات والمقابلة والفحص الطبي، والعصبي وغيرها من الأدوات التشخيصية.

4 - استخدامات دراسة الحالة:

- إن استخدامات دراسة الحالة متعددة ومتنوعة تبعاً لتعدد واختلاف الأهداف المتوخاة، ولهذا سوف نشير لأهم هذه الاستخدامات وهي:
- بالنسبة للدراسات الاستطلاعية: حيث يحتاج الباحث إلى إجراء تحليلات لبعض الحالات المثيرة للاستبصار والتعمق، وذلك سعياً وراء هدف محدد للكشف عن الجوانب المختلفة أو في محاولة لبلورة بعض الفروض المتعلقة بمثل هذا الموضوع.

- بالنسبة للبحوث الوصفية: حيث يهتم الباحث بوصف الجماعة أو المجتمع المحلي أو المدينة أو القرية بحيث يقدم صورة كلية عن الموضوع.

- بالنسبة للبحوث التجريبية: يستعين الباحث بدراسة الحالة للتعرف على المجتمع أو الجماعة التي يراد إحداث تغييرات في نطاقها، ليتم تنفيذها من أجل المساعدة عن طريق برامج معينة، بحيث يتعرف عن الحالة قبل وبعد إدخال البرنامج. المعين للتمكن من تقدير مدى تحقيق البرنامج لأهدافه في ضوء عملية المقارنة القبلية والبعديّة.

- كما تستخدم دراسة الحالة في مجال خدمة الفرد بحيث يستطيع المهني أو الخبير تشخيص أسباب المشكلات التي تعاني منها الحالة، أو في الحالات التي يهتم بها وبالتالي يتمكن من وضع خطة علاجية من أجل المساعدة أو العلاج.

- كما تستخدم دراسة الحالة على المؤسسات بالتعرف على تاريخها والمراحل التطويرية التي مرت بها، ويعتمد في ذلك على عدة وسائل كالملاحظة والمقابلات المعمقة، وتحليل وجمع الوثائق، ويستخدم هذا المنهج في مجالات بحثية عديدة منها مجال الإعلام والاتصال.

5- الشروط الواجب توافرها في دراسة الحالة:

- السرية: يقصد بها السرية التامة للمعلومات التي يدل بها الفرد موضوع الدراسة وهو شرط مهم للنجاح في دراسة الحالة، وهو شرط مهم يجب أن يتوفر في القائم بدراسة الحالة حتى يستطيع أن يثق فيه الفرد وحتى يستطيع أن يتحدث بحرية وثقة وفي جو آمن، خاصة فيما يتعلق بالمعلومات التي قد تسبب مشكلات قانونية أو اجتماعية وخاصة في المعلومات التي تكتسب وتسجل صوتيًا أو تسجل فيديو وتحفظ في سجلات.

- وفرة المعلومات: في دراسة الحالة يجب أن يتوفر أكبر قدر ممكن من المعلومات بحيث تعطي صورة واضحة عن الحالة، وحتى نستطيع أن نفهم الحالة من جميع جوانبها.

- التعاون بين الباحث والفرد: يجب أن يحدث نوع من التعاون بين القائم بدراسة الحالة وبين الأشخاص الذين تشملهم، بحيث يحسون أنه قريب منهم وأنه يحس بآلامهم خاصة في الأحداث الحزينة التي تحدث لهم، ويجب على الباحث أن يتحرى الدقة عند جمع المعلومات عن الحالة وأن يتأكد من صحة البيانات والمعلومات عن الحالة وذلك من التناسق والتكامل بين البيانات التي يدلي بها الفرد من مصادر متعددة والتكامل والتناسق بين هذه المعلومات.

- تعدد العوامل: يجب أن يدرك القائم بدراسة الحالة أن أسباب المشكلة لا ترجع إلى عامل واحد وإنما ترجع إلى عوامل متعددة، وهذه العوامل المتعددة ومتشابكة ويجب أن يكون لدى الباحث القدرة على ترتيبها وتنظيمها والربط بينها وتفسيرها. وذلك حتى يستطيع فهم الحالة التي يقوم بدراستها والتعرف على أسبابها التعرف على مشكلاتها وتقديم العلاج المناسب لها.

- فهم الإطار المرجعي للحالة: يجب على الباحث الذي قوم بدراسة الحالة أن يكون على معرفة بالبيئة التي يعيش فيها الفرد موضع الدراسة وأن يكون ملماً بسلوكيات الفرد، وتأثير البيئة عليه. فبدون ذلك يكون الباحث أقل

حساسية للكثير مما يلاحظه أو أقل اهتماما به عند تفسير الحالة وكتابة تقرير دراسة الحالة ووضع المقترحات المتعلقة بها.

6 - تاريخ الحالة (Case History):

تعد دراسة الحالة (case study) تاريخاً شاملاً وكاملاً لحياة الفرد المدروسة حالته، بينما تاريخ الحالة جزء من دراسة الحالة، وتعد دراسة الحالة الطريق المباشر إلى جذور المشكلات الإنسانية، كما تعتبر دراسة تاريخ الحالة أو ما يطلق عليه أحياناً "تاريخ الحياة Life History جزءاً من الأخرى، ويتناول وجيزاً لتاريخ الحالة كما يكتبه الفرد، وكما يجمع عن طريق الوسائل الأخرى، ويتناول دراسة مسحية طويلة شاملة للنمو منذ وجوده والعوامل المؤثرة فيه، وأسلوب التنشئة الاجتماعية، والخبرات الماضية، والتاريخ التربوي والتعليمي والصحي، والخبرات المهنية، والمواقف التي تتضمن صراعات، وتاريخ التوافق النفسي، وتاريخ الأسرة، بطريقة شاملة وموضوعية بقدر الإمكان. ويشير مصطلح تاريخ الحالة إلى تاريخ المرض الحالي أو الأمراض التي تشكل التاريخ المرضي الطبي للفرد، وتحدث الباحثون في العلوم الإنسانية عادة عن تاريخ الحياة ويطلقون على البيانات التي تستخلص منها هذا التاريخ مصطلح الوثائق الشخصية. personal Documents

7 - مزايا وعيوب دراسة الحالة:

• مزايا دراسة الحالة:

- تمكن الباحث من تكوين علاقات مهنية مع المبحوث
- أن نتائجها لا يجوز فيها التعميم
- تعطي للباحث فرصة للتحقق من المعلومات، والبيانات من خلال التتبع والمقابلات المتكررة للحالات المطولة وإمكانية استخدام الملاحظة والملاحظة والرجوع إلى الوثائق أثناء الدراسة والتشخيص.
- تعتبر من الأدوات المهمة في دراسة عمليات التغير الاجتماعي
- تمكن الباحث من دراسة الموضوع دراسة متكاملة.
- تلتزم بتتبع المبادئ العلمية في التعامل مع الأفراد وحالاتهم الخاصة.
- أنها تمتاز بالمرونة في تجميع المعلومات من خلال استعمال وسيلة المقابلة ولا تعتمد على الاستفسارات الجامدة والأسئلة الجاهزة مسبقاً قبل التعرف على نوع الحالة ومؤثراتها الأساسية والثانوية
- أنها تمكن الباحث من اختبار المواقف، والنظم، والأشخاص بالتتبع الدقيق للحالات المدروسة.
- عدم التسليم بكل ما يشاهد، أو يلاحظ أو يقال، أو يكتب.

• عيوب دراسة الحالة:

- أنها تحتاج إلى وقت كثير وجهد كبير

- يصعب عن طريقها دراسة المجتمع كثير العدد إذا استهدفت التشخيص والعلاج واستعملت وسائلها الهامة في تجميع البيانات والمعلومات.

- أهما تحتاج إلى خبرة وتدريب فائق لكي تحقق تعاملًا ونتائج ناجحة مع الحالات الفردية، والثنائية والجماعية.
- نتيجة الزمن المتعلق بتاريخ الحالة، فقد ينسى المبحوث بعض المعلومات، والبيانات الهامة في استكمال دراسة الحالة.
- قد يكون المبحوث أصم وأبكم ولا يجيد أو يعرف اللغة الحركية الخاصة بهذه الفئة.
- قد تتأثر الحالة بالجوانب الشخصية للباحث. والعكس.

يتميز منهج دراسة الحالة عن غيره من مناهج البحث العلمي بكونه لا يحدد عينة ومجتمع للبحث، بل يختار حالة محددة لتناولها وفحصها بشكل دقيق، وتتم عملية اختيار الحالة للدراسة وفقاً لشروط محددة، لتتوافق مع طبيعة الدراسة المختارة لها، وليس بشكل عشوائي ليس من شأنه أن يخدم أهداف الدراسة، إن منهج دراسة الحالة فريد بنوعه بشكل عام عن مناهج البحث العلمي الأخرى، ويلجأ إليه الباحثون في حالة الرغبة في الحصول على نتائج ومعلومات تفصيلية حول فئة محددة.

المراجع:

- عقيل حسين عقيل. (1999). مناهج البحث العلمي، مكتبة مديولي للنشر والتوزيع
- روبرت ك. ين. (2020). بحوث دراسة الحالة: التصميم والأساليب، ترجمة (بكات بن ملون العتيبي، وعبيد بن عبد الله العمري) المملكة العربية السعودية: مركز البحوث والدراسات لمكتبة الملك فهد الوطنية.
- أحمد أبو سعد، سلطان النوري. (2016). دراسة الحالة في إطار جديد، دبي عمان: مركز ديونو لتعليم التفكير وعضو اتحاد الناشئين الأردنيين والعرب للنشر.
- فكري لطيف متولى، صبحي ين سعيد الحلثي. (2012). دراسة الحالة في علم النفس، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.